سومر

الجزء الأول والثاني - المجلد التاسع والثلاثون

١٩٨٣

مفهوم « الزمان » في الفكر الرافدي بين الفلك والرياضيات
دراسة فلسفية

بقلم : علي حسين الجابري
مدرس الفلسفة – كلية الآداب –
جامعة بغداد

المقدمـة :

نجح الانسان الرافدي ؛ منذُ الألف الخامس قبل الميلاد – في ايجاد الأدوات التي يستعين بها على الطبيعة وظروفها القاسية ، بعد ان واجهها بعقلٍ واعٍ ، وثقة عالية بالنفس ؛ مدفوعاً بعاملين اثنين : الأول : الحاجة مع الرغبة في قيام مجتمع منظم متماسك ومتعاون وآمن . الثاني : الدهشة مما يجري حوله من حوادث مردها ظواهر مختلفة ، حاول تفسيرها ، ماخوذا برغبة لاتقاوم في الكشف عن اسرارها ، وربطها بأسبابها وحب لاحدود له في الاستطلاع على مكنونات المجهول واكتناه مغاليقه . حتى تمخض عن هذه المحاولات ؛ دعائم متينة ، لحياة (اجتماعية) – حضارية – منظمة ؛ تمتلك كل مواصفات الاصالة (المعنوية ؛ الخلقية ، الروحية) و (العملية التقنية المادية) بفضل الأدوات والوسائل التي ابتكرها ، وطورها دوماً ؛ كاختراعه للكتابة ، وتشريعه للقوانين ؛ وتأسيسه للدولة (السلطة) وعنايته بالعقائد والآداب والفنون ، والعلوم والفلسفات ، حتى أصبحت هذه المنجزات بحق ؛ شهادة على جهادية اسلافنا ، وبراءة اختراع ، لمنطلقاتهم العلمية والعملية والمبدأية ؛ فوجدناهم ، حريصين على التواصل مع الاجيال المتعاقبة؛ من خلال الحفاظ على حسن العلاقة مع (التراث) . لقد اثبتوا ، انهم لم ولن يعيشوا لحاضرهم – فقط – بل وللمستقبل ايضا ؛ دون ان ينكفئوا على ماضيهم او « يتحجروا » عليه ! مأخوذين بفكرة العصر الذهبي السابق !

وهذا يعني ؛ انهم ادركوا ، مسألة الالتزام الأخلاقي تجاه الاجيال اللاحقة ! هذا ، بجانب احساسهم الانساني بضرورة الحفاظ على (حسن العلاقة) مع الامم الأخرى ، التي يتبادلون معها المنفعة ؛ والخير المشترك ؛ مأخوذين بقانون « الحوار الحضاري » والتفاعل المتبادل ، فأغنوا بذلك تجارب الامم المجاورة ؛ واغتنوا منها ايضاً ؛ حتى وصلت تأثيرات حضارة وادي الرافدين الى بلاد عيلام شرقاً والخليج العربي واليمن جنوباً ؛ وبلاد الاناضول شمالا وجزائر البحر المتوسط غرباً .

لقد انتقلت القيم الحضارية (الفلسفية والاجتماعية والعلمية) مع ما انتقل الى الأمم الأخرى ، من سلع وأدوات وانماط حيوية : سلوكية وخلقية ، حدث ذلك منذ قامت في الوطن العربي عموماً ، وفي وادي الرافدين على وجه الخصوص ؛ دول قوية مركزية ؛ تمتلك كل مواصفات الدولة الرسمية ؛ تحقق ذلك منذُ ايام اورنانشة . واوركاجينا [1] ؛ سرجون الأكدي ، نرام‌سين ، كوديا مروراً، بلبت عشتار ، وحمورابي ، وآمي صادوقا ، اورنمو ، وسرجون الآشوري وآشور بانيبال ونبوخذ نصّر ؛ وغيرهم كثيرون

كما اكملت بابل ، الدور الحضاري الذي أسسته الوركاء ولكش وكيش واور واريدو ونفّر ؛ وتابعتها ؛ آشور ونينوى ؛ وكانت جميعها مراكز علمية وسياسية راقية . جلبت اليها ابناء الشعوب الأخرى ؛ ليتزودوا من علومها ، وينالوا – كما يقول الاستاذ طه باقر – لقب (كلدان) في العلوم ؛ وهو ما يوازي لقب « دكتوراه » في عصرنا الحالي ، وبقي الأمر هكذا طيلة ثلاثة آلاف سنة .

وفي القرن السادس قبل الميلاد ، وبسبب ضعف الكيانات السياسية . واحتدام الساحة الحضارية العربية ، بالصراع الفارسي اليوناني ، فقدت مراكزنا العلمية ؛ دورها الحضاري وبخاصة بعد سقوط بابل سنة (٥٣٩ ق.م) والذي لم يكن في حقيقته سقوط مدينة . بمقدار ما هو سقوط حضارة [1] حيث انتهى الأمر بالتأمل الفكري والابداع العلمي ؛ بعد قرون ؛ الى سيادة الموقف اليوناني (الفلسفي والعلمي) بفضل الجهود الفكرية التي بذلها

استعملنا هذا المصطلح ، ونعني به الفكر في وادي الرافدين ؛ وكررنا ذلك في السياق

(١) شمار ، د . جورج بوبيه : المسؤولية الجزائية في الاداب الأشورية والبابلية . ترجمة سليم الصويص . بغداد ١٩٨١ ص ٨ و ص ١٦

رجال الفكر والعلم ، ساعد على تعزيز هذه السيادة ، اندفاع الأسكندر باتجاه الشرق ليصبح كل ذلك التراث الشرقي حدود امبراطوريته ؛ كل تلك الفرص ؛ هيأت لليونانيين اسباب النضوج الحضاري ، بعد ان تمثلوا كل ما وافق تفكيرهم وحاجتهم ، من المنجزات العلمية الحضارية التي جاءتهم من الشرق (العربي) والتي تجاهلها البعض وهو يتحدث عن « المعجزة الاغريقية »[٢] كما فعل جورج سباين ؛ وغيره ممن انكر السبق الشرقي .

ولسنا هنا في معرض الرد على اصحاب « التا ير الاوربي » لتاريخ الفكر الفلسفي ؛ بل للتذكير بما قدمه علم الآثار من حقائق جديدة ؛ جاءت بمثابة القنديل الذي ينير الدرب أمام الباحث المنصف كي يرى الحقيقة الموضوعية ؛ التي تحكي لنا قصة جهاد الانسان الرافدي وهو يبدع ويبتكر ويخدم الأنسانية . وهو طموح الباحثين الذين استهوتهم الحقيقة ؛ ولاشيء غيرها ، كيلا يساء فهم تاريخ الفكر البشري ، وهو بعض مما استهدفناه في بحثنا المتواضع هذا ؛ الذي يدور حول « مفهوم الزمان في الفكر الرافدي ؛ بين الفلك والرياضيات » متابعين دلالات الدرب الشائك ! الذي سبقنا فيه العديد من اساتذتنا الأجلاء فعسانا نوفق .

١ – المدخل الى الدراسة ومبرراتها .

اختلفت الآراء ، والأفكار ، والمبادىء ، (النظريات الفلسفية ؛) منطقية وعلمية ؛ دينية (ميثولوجية) وواقعية ؛ بتعاقب الأجيال ، واتساع مدارك الناس وتشعب مناهج التفكير ؛ وتفاوت منطلقاتهم الفكرية ، حتى (تشكلت) أمامنا ، لوحة الفكر الأنساني ؛ بألوان تعزز ثقة الأنسان بنفسه ، وبمجتمعه ، وبمستقبله بعد ان ركن الى نتائج (ثمار) جهوده المتراكمة على مر العصور والأزمان ، الى منهجية واعية ، مقترنة بحماسة وجدانية كان من ابرز سماتها ، تراجع احتمالات (الخطأ) أمام اتساع دائرة القناعة و (الوثوق) والموضوعية ، المنصفة ؛ وبذلك أصبحت (معارفنا) سهلة المعيار ، بسيطة الامتحان والاختبار ؛ بفضل تبادل (المواقع) بين العلوم (الانسانية) والعلوم (الصرفة) حيث أخذت الأولى من الثانية مناهجها واتجاهاتها الرياضية (الكمية) والمنطقية ، كما أخذت الثانية من الأولى . (النظرية الفلسفية) و (مناهج البحث) و (الاهداف الأنسانية) .

ويمكن القول ، بمزيد من التفاؤل ان ابحاثنا العلمية ، انسانية و « تقنيه تنهل من منبع واحد ، هو مجموعة الحقائق التي تخدم الانسان . بعد ترجمتها الى « منجزات ايجابية » .

وعسانا في دراستنا (للزمان) قد حاولنا التوفيق بين الطموحات الآنفة ، لما لهذا الموضوع من أهمية في الدائرتين (الفلسفية) و (العلمية) قديما ، وحديثا وعلى المستويين المنطقي والطبيعي (الفيزيقي) . أما العوامل الكامنة وراء هذا الأختيار (الصعب) فيمكن اجمالها بما يلي : –

أ – الحقائق الأثرية التي أحدثت (ثورة) في سياق الوعي الحضاري الذي استلهمته اجيالنا السالفة . التي قلبت الكثير من وجهات النظر الخاطئة ، ازاء مسيرة الفكر الفلسفي والعلمي الأنساني ، الذي كان لوطننا العربي فيه دوراً متميزاً .

ب – دعوة السيد الرئيس صدام حسين الى اعادة كتابة التاريخ الحضاري للوطن العربي عموماً ، وللعراق على وجه الخصوص .

جـ – الوعي الحضاري الجديد ، الذي تجاوز التفسير العنصري للتاريخ الفلسفي والعلمي ؛ الى حالة من الحوار الحضاري الذي ينظر الى اسهامات الامم في عملية البناء الحضاري بمقدار الجهد الذي بذلته اجيالها في تحقيق الاضافة .

د – النزوع القومي المشروع الذي استهدفت الأمة العربية من ورائه الكشف عن المنجزات العلمية والفلسفية (التراث الحضاري) في مراحل نضوجها الحضاري السابقة ؛ من تاريخنا ، وربطها بسلسلة التطورات الحضارية اللاحقة وصولاً الى الموائمة بين « الأصالة والمعاصرة » لكي تحافظ الأمة على توازنها التاريخي والانساني ، وبمعنى آخر لتحقيق جدلية (التراث والمعاصرة) مقترنة (بالحوار الحضاري) والتفاعل مع منجزات الأمم الأخرى .

هـ – الدراسات الجادة – على قلتها – والتي شقت طريقها بين سيل من الدراسات غير الدقيقة ، وغير المنصفة) التي كانت تنظر الى التراث « متجزوء » فاقد الحيوية ، لأنه يفتقر الى النظرة المتكاملة الشاملة بسبب داء التجزئة الناقصة التي كانت سبباً في الخروج بنتائج لاتستقيم وحقيقة ذلك التراث .

مما يوجب – على الجيل المعاصر ان يضطلع بمسؤولية القيام بدراسات موضوعية تراثية تتناول اوجه الحضارة العربية العريقة كافة ؛ وهو ما نأمله من مراكز البحوث التراثية ؛ والمجامع العلمية ، والاقسام الفلسفية وغيرها من مؤسسات اخذت على عاتقها مهمة اعادة كتابة التاريخ الحضاري بمنهج علمي جدلي تاريخي مقارن ، ومنصف وهو ماحاولنا توظيفه في هذه الدراسة المتواضعة ، لنفحص في ضوئه الاتجاهات العلمية والفلسفية التي نبتت في هذه الربوع منذ سالف الازمان . مستعينين بتجارب الرواد من الباحثين .

٢ – الزمان بين المعنى اللغوي والمفهوم الأصطلاحي

الباحث وهو يتتبع مفردات هذا الموضوع ، مدين الى المحاولات التي سبق وطرحتها تساؤلات العديد من الباحثين الذين درسوا جوانب الحياة الفكرية والعقيدية لسكان وادي الرافدين في مقدمتهم من الأجانب « هـ فرانكفورت وجاكوبسن في كتاب « ماقبل الفلسفة » وسارتون في تاريخ العلم ؛ وديورانت: في قصة الحضارة ، واوينهايم في بلاد مابين النهرين ؛ وكريمر في اساطير سومرية ومن العراقيين الدكتور الآلوسي في كتابه « الزمان في الفكر الديني والفلسفي القديم »[٣] الذي كان من أكثر المصادر التي تناولت هذا الموضوع عمقا واتساعا بجانب بحث مداه كاسان عن مفهوم الزمان في

(٢) الطعان ، د : عبد الرضا ، الفكر السياسي في العراق القديم . بغداد ١٩٨١ ص ٣٤ نقلاً عن :

George, Sabine. A History of politica, Theory of the Fourth edition. Dryden. Press. Hinsdale illinois U.S.A. 1973 p. 7.

(٣) الالوسي ، د . حسام . الزمان في الفكر الديني والفلسفي القديم ؛ مجلة عالم الفكر الكويتية المجلد الثامن العدد الثاني ١٩٧٧ ص ٤١٣ وهو جزء من كتاب طبعه تحت عنوان « الزمان في الفكر الديني والفلسفي القديم » بيروت ١٩٨٠ ص ٣٩–٤٨ .

العراق القديم . كما وجدنا بين ايدينا غير ماجاء في المصادر الآنفة- الكثير من المكتشفات الأثرية الجديدة التي اعانتنا على توسيع دائرة البحث فيما يتصل بالمرحلة القديمة من تاريخ وادي الرافدين دون ان ننظر اليها الا في سياق مراحل الحضارة العربية القديمة ؟ نقول ذلك ؛ وبين ايدينا الجهد المكثف الذي بذله الدكتور الآلوسي ، وهو يتتبع المعنى « اللغوي » للزمان في المصادر العربية والأجنبية . وان كانت دائرة المعنى اللغوي بالعربية هي الغالبة ؛ فتناول كلمات معروفة لدينا جيداً بالبحث والدراسة لانها تشكل اجزاء هذا المبحث مثل وقت ؛ وقديم وحادث ودهر وازل ، وزمان وحين وبرهة وساعة ويوم وسنة ، وغيرها من الكلمات التي كانت معروفة ومتداولة بين الناس ، قبل تدوينها في « قواميس اللغة » او « معاجمها » .

ومهما كانت موارد هذه الكلمات فهي لم تخلُ من دلالة فلسفية غير بعيدة عن مدارك القدماء . لكن الصعوبة تكمن في تحديد بداياتها ؛ او اشخاصها ، الأ ماندر ؛ لكنها عرفت في وادي الرافدين ؛ ومازالت متداولة . وهي في مجملها في المراجع اللغوية العربية ؛ لن تخرج عن المعنى الفلسفي المعروف منذ بواكيره الاولى ؛ وان اتجه الى النضوج بفضل تعمق النظرة الفلسفية التحليلية للمفكر الرافدي في الميدانين (الفيزيقي والميتافيزيقي). التي تطورت فيما بعد على يد الاغريق وفي الدراسات العربية الاسلامية المتكاملة ، والاوربية الحديثة والمعاصرة .

ويمكن اجمال المفاهيم المتعلقة بالزمان (في العربية) بمصطلحات مثل « الوقت ، والدهر ، والمدة ، والآن ، والأبد والأزل » التي ربطوها بحركة الفلك من البداية الى النهاية [٤] ؛ ولكل واحدة من هذه الكلمات موطن قديم في السياق (العام) للزمان (المطلق) ونضيف عليها تعريفات المفاهيم التي تشكل اجزاء هذا (الزمان) فيقول الرازي في مختار الصحاح « البرهة : تأتي بمعنى مدة طويلة من الزمان » الذي جمعه على « ازمان وازمنة وازمن » ووزعه بين « حين وان وساعة ويوم وسنة » اما « الوقت : فهو تحديد الاوقات المضروبة (المحددة) للفعل [٥] اما الجرجاني فيذكر في (التعريفات) « الزمان : هو مقدار حركة الفلك الأطلس عند الحكماء ؛ وعند المتكلمين هو عبارة عن متجدد معلوم يقدر به متجدد آخر موهوم ؛ كما يقال : آتيك عند طلوع الشمس : فان طلوع الشمس معلوم : ومجيئه موهوم فاذا اقترن ذلك الموهوم (المجهول ») بذلك (المعلوم) زال الايهام اما الدهر « فهو الآن الدائم ؛ الذي هو امتداد الحضرة الالهية ؛ وهو باطن الزمان ؛ وبه يتحد الازل والابد « ثم يتناول هذه المصطلحات بالتفسير فيقول » الابد : هو استمرار الوجود في ازمنة مقدرة غير متناهية في جانب المستقبل كما ان الأزل : استمرار الوجود في ازمنة مقدرة غير متناهية في جانب الماضي « وقال عن الأبد ايضا » مدة لا يتوهم انتهاؤها بالفكر والتأمل البتة ؛ أو هو الشيء الذي لا نهاية له » . أما القدم الزماني فهو « كون الشيء غير مسبوق بالعدم » وهو غير الماضي ؛ لأن الماضي « هو الدال على اقتران حدث بزمان قبل زمانك » .وبذلك يوزع الجرجاني « الازل » « والابد » بين طرفي الماضي البعيد غير المتناهي في قدمه والمستقبل البعيد اللامتناهي ؛ وهو غير الماضي ؛ وغير المستقبل ؛ لذلك قيل عن الازلي « هو مالايكون مسبوقاً بالعدم » ثم وزع مناطق نفوذ هذه المفاهيم على الموجودات بقوله « الازلي والأبدي » وهو الله سبحانه واللازلي واللأبدي وهو الدنيا (عالم الكون والفساد) وأبدي وغير ازلي هو الاخرة » ثم قرب لنا مفهوم الازلي بقوله « الذي لم يكن ليس . والذي لم يكن ليس ،لاعلة له في الوجود » اما أقرب جزء من الزمان الينا فهو « الآن » الذي هو : اسم للوقت الذي انت فيه ؛ وهو ظرف غير متمكن [٦] وبذلك اوجز لنا صاحب التعريفات خلاصة الفهم العربي لمعاني هذه المصطلحات .

ووجدنا في معجم « رينهارت » اضافة في المصطلح المتصل بالدهر وهو « الدهر ؛ ودهر الدهور » الذي قال عنه انه « الى الابد » [٧] أي ابد الآبدين ولو استعرنا تفسير الجرجاني حول هذا المصطلح وجدناه يقع في دائرة « مستقبل المستقبل » وهو الطرف الآتي الذي يحمل ملامح التفاؤل الانساني .

مع ذلك يمكن ان نقول ان « الدهر » في مجمل التفسيرات هو الزمن الممدود المعلوم الاول ، والآخر ، عليه يمكن وضعه في سياق العود الأبدي ، « الدور» وهو ماسوف نجده في ثنايا الفهم الفلسفي للزمان في وادي الرافدين ، مقدراً بعدد من السنين تختلف باختلاف محيطها الفلكي .

فاذا كانت (المدة) هي « حركة الفلك من البداية الى النهاية » وجدنا (الزمان) « بعضاً من هذه المدة » كما وجدنا (الوقت) جزءاً من الزمان محسوبا بالمقاييس المعروفة . التي يمثلها الجانب العلمي والتي تسجل حركة الزمن .

وخشية الاسترسال مع الفيض المتوافر من الأراء التي زخرت بها المصادر العربية ، نكتفي بما سجله لنا الدكتور الالوسي عن الازرقي الذي قال « الزمان ظرف الأفعال ، وانما قيل ذلك لأن شيئاً من افعالنا لايقع الافي مكان . والآ في زمان . وهما الميقات » ذلك هو المعنى الحيوي المتصل بالفعل الأنساني الذي أشار اليه الطبري بوضوح في قوله « الزمان . هو ساعات الليل والنهار » [٨].

نكتفي بهذا القدر من « الفحص » عن معنى « الزمان » بضربيه (الفلسفي) و (العلمي – العملي) دون ان تقطع صلة هذه المفاهيم

كاسان . مدام ايلينا – مفهوم الزمان في وادي الرافدين ت د . وليد الجادر – مجلة سومر المجلد ٣١ لسنة ١٩٧٥ ص ٣٢٧

(٤) الالوسي المصدر السابق ص ٤١٥–٤١٧ راجعها في كتابه ص ١٢–١٨

(٥) الرازي ، محمد بن ابي بكر ؛ مختار الصحاح . نشر دار العلم بيروت ب – ت. ص ١٥ و ٣١ و ٥٠ و١٦٦ و٣١٧ و ٣٢١ و٥٢٥ و٧٣١ و٧٤٥

(٦) الجرجاني : الشريف علي بن محمد التعريفات : القاهرة ١٩٣٨ (البابلي الحلبي)

(٧) رينهارت ؛ دوزي : تكملة المعاجم العربية ؛ نقله الى العربية وعلّق عليه . د . محمد سليم النعيمي – بغداد ١٩٨١ الجزء الرابع ص ٤١٨ .

(٨) الزمان في الفكر الديني والفلسفي القديم ص ٤١٥ – ٤١٧ ، المعتمد على الازرقي : الامكنة والازمنة : طبع – حيدرأباد . ١٣٣٢ هـ ص ١٣٩ والطبري : التأريخ : تحقيق ابو الفضل القاهرة ١٩٦٠ ، ٩/١

بالعربية عن اصولها ومد لولاتها في اللغات السامية (العربية القديمة) وهو ما سبقنا في تأشيره الدكتور الالوسي .

والآن ، ماذا تخبرنا الوثائق الاثرية عن حقيقة الفهم الرافدي للزمن ؟

٣- كيف نظر الأنسان الرافدي الى الزمن ؟

وجدنا في المجامع الأثرية والوثائق التي وصلتنا من الفترة السومرية ، وما لحقها ، المنابع الرئيسة التي اعتمدناها في دراستناهذه « نقول » ونحن نتفحص وجهة نظر الأنسان الرافدي عن « الزمان » ، والتي ظنّ البعض فيها ظناً آثماً حينما اهملَ قيمتها في البحث العلمي ، بحجة « الاسطورة » . صحيح ، ان البدايات البعيدة للأفكار اللاحقة قد تبدو للوهلة الاولى ، مشوشة ، غير واضحة المعالم ، بسبب افتقارها الى السعة والتعليل ، لكنها - على اية حال - بداية لابد منها ، لكي نتتبع التطوّر المتصاعد للفكر الأنساني في هذه المواطن الحضارية .

ولانكتم القارىء الفاضل سرّاً اذا ما قلنا ، ان هذا الغموض في اوليات الدراسة بجانب صعوبة موضوعها ، هي نقاط الاغراء التي تحثنا دوما على المطاولة ، للوصول الى حقيقة النظرة العراقية القديمة الى (الزمان) .

ان مايلفت نظر الباحث ، في الفكر الرافدي ، هو ان (السومريين) - مثلاً - وهم اقدم المجاميع البشرية التي عاشت هنا بعد آخر عصر جليدي - لم يكونوا شعباً بدائياً ، حيث اكدت وثائقهم انهم « ورثة ماض مجيدسعيد » لاتخلو مواصفاته من صورة « الزمن السعيد والعصر الذهبي للمجتمع الأنساني حيث السلام والوئام يسودان العالم ، وكان الجميع بلسان واحد يتكلمون[٩] وعليه لم نعجب حينما يوظف السومري خبراته الحضارية في بيئة صالحة للتطوّر كبيئة وادي الرافدين . حيث الشروط النفسية المساعدة على الاجتهاد والابداع ، والعوامل الجغرافية المؤاتية ، اذ تنبه الأنسان الرافدي - كما يقول سارتون - الى ادراك سير الزمن من دوام تكرار النهار والليل ، وتغيّر اوجه القمر والمواسم والسنين . فوضع تقاويم تنبأ فيها ، بتلك الظواهر ، في ضوء التجربة السابقة . وهي تقاويم . اساسها الظواهر الجوية (الجوفيزيائية) في الدائرة القمرية ، او الدائرة الشمسية ..... لم أدخل التحسين على هذه التقاويم تدريجياً من جرّاء تكرار المشاهدات [١٠]

اضافة الى محاولاتهم لضبط مواسم البذار وحساب الفصول [١١] ولما كان للكاهن في تلك المحاولات دوربذكر ، اكتسبت دوافع البحث والمتابعة وحب الاستطلاع ، طابعاً دينياً طقسياً ، لم يخرج عن (الحاجة) في الوصول الى الأفضل من المعارف ، حتى اعتبر - ويلز - الكاهن الأول « رجل علم طبيعي » وان علمه علم تجريبي ، ووظيفته ، المعرفة[١٢] . وليس في ذلك غرابة اذ لفت نظر الأنسان الرافدي ، منذ القدم ، شكل (الكون الدائري) وظاهرة (الليل والنهار) وتعاقب « الايام والسنين » بجانب ظاهرة تبدل المناخ ، وتتابع الفصول ، ومسألة « الولادة والفناء » حيث سجل مأثوراته التأملية وتصوراته الذهنية ، عنها ، بعد ان تداولها مشافهة جيلاً بعد آخر ، اشارات وتلميحات ، حيث اجتهد كل جيل لاحق ان يطوّر مابدأه السابق ويضيف اليه خبراته المستجدة المتراكمة لذلك كان دائم التفتيش عن « اسباب » هذه التغيرات ، في ظروفه المحيطة ، باحثاً عن عوامل ذلك الأختلاف وتأثيراتها على حياتهم » . وكان المعني في كل ذلك ، ليس الأنسان البسيط فقط بل وكذلك الأنسان « الحكيم » المفكر ، راجح العقل ، الذي أستهدف (تعليل) ومتابعة هذه الظواهر ، وغيرها . بحسب قدراته وامكاناته العقلية والتي كان (لرجل الدين) حظا وافراً بحكم موقعه ، ومسؤولياته في المجتمع . حتى أثمرت هذه التراكمات (التعليلية) و(التجريبية) عقائداً وفلسفات وعلوماً ، وبخاصة بعد ان تحررت تعليلاته لها عن اطارتها (اللاهوتية) ففي ميدان العلوم . نما بجانب الطقس الديني ،علم مستقل ، يتبادل معه المواقف ، مارسه رجل الدين بالذات ، ونعني به « علم الفلك »[١٣] الذي اجتمعت لانضاجه « حاجة » الانسان المتجددة ، مع مما يجري حوله ، و« رغبته » في اكتشاف المجهول و« خبرته » المتراكمة على مرّ العصور ، كل ذلك من اجل ان يكتشف موقعه في هذا الوجود . وليتصرف فيما بعد على ضوء تلك المعرفة ، وهو ما كان سبباً في ظهور « التنجيم » .

اذن اقترنت التصورات ، في وادي الرافدين ، عن « الزمان »

بالتأملات الاولى التي رافقت الأنسان ، منذ وعى وجوده ، وادرك ان مايجري حوله، مترابط ، ومنظم ، انه كل متكامل ، ومتلازم ، تلازماً حيويا وعضويا وسببيا .

لن يفلت حتى (الانسان) من سياق ذلك النظام الذي توصل الى فهمه من خلال سلسلة من الاجابات التي جاءت رداً على اسئلته ،كيف ومتى ولماذا واين؟ عليه اكتسبت تلك الاجابات شئنا ام ابينا - مسحة (فلسفية) تنفذ عبر الغلاف الميثولوجي الذي بدا قريبا منا ، ونحن نتمعن بتلك التأملات التي لاتخلو من النضوج ، الذي وسم تفكير الانسان الرافدي مع تلاحق الايام . فلم نعجب حينما نجد تأملاته تلك وقد تجاوزت « الزمان » - القدر المطلق) الى ادراكه في سياق المقولات الفلسفية والمنطقية ، حينما دخل دخولاً مباشراً في مجموعة العلل التي تشكل اركان « وجود » الاشياء . لهم

اذن اقترنت التصورات ، في وادي الرافدين ، عن « الزمان »

بالتأملات الاولى التي رافقت الأنسان ، منذ وعى وجوده ، وادرك ان مايجري حوله، مترابط ، ومنظم ، انه كل متكامل ، ومتلازم ، تلازماً حيويا وعضويا وسببيا .

لن يفلت حتى (الانسان) من سياق ذلك النظام الذي توصل الى فهمه من خلال سلسلة من الاجابات التي جاءت رداً على اسئلته ،كيف ومتى ولماذا واين؟ عليه اكتسبت تلك الاجابات شئنا ام ابينا - مسحة (فلسفية) تنفذ عبر الغلاف الميثولوجي الذي بدا قريبا منا ، ونحن نتمعن بتلك التأملات التي لاتخلو من النضوج ، الذي وسم تفكير الانسان الرافدي مع تلاحق الايام . فلم نعجب حينما نجد تأملاته تلك وقد تجاوزت « الزمان » - القدر المطلق) الى ادراكه في سياق المقولات الفلسفية والمنطقية ، حينما دخل دخولاً مباشراً في مجموعة العلل التي تشكل اركان « وجود » الاشياء . لهم

---

(٩) بالر . الاستاذ طه : ملحمة كلكامش ، بغداد ١٩٨٠ ص ١٣ . راجع كذلك . عبد الواحد ، د . فاضل ، الطوفان بغداد ١٩٧٥ ص ١٨-١٩ .

(١٠) سارتون تأريخ العلم ترجمة مجموعة من الاساتذة ط ٣ القاهرة ١٩٧٦ ١/ ٦١ ٦١ - ٦٢ و٦٦-٦٧ كذلك . ول . ديورانت قصة الحضارة ١/ ٢٥١

(١١) ويلز ، ه . ج موجز تاريخ العالم . ترجمة عبد العزيز جاويد القاهرة ١٩٦٧ ص ٥١

(١٢) ايضاً ص ٥٦

(١٣) تاريخ العلم ١ ٢٥١ .

الانتباه الى الجانب العملي (التطبيقي) الذي يتصل بتحديد اجزاء الزمان العلمية الدقيقة . ومع الايام – دخل بحث الزمان في الميكانيكا دخولاً مباشراً ، بفضل ابحاث الفيزياء والحركة والمكان . كما دخلت هذه الابحاث في القرون اللاحقة ؟ زوايا محددة ، فدار الحديث عن الزمن النفسي ، والزمان العقلي ، والرياضي والوجودي والنسبي » متجاوزا الاطار العام الذي كان معروفاً في « الحقب » الماضية .

لقد نجح الأنسان ، في منح الزمان بمفهوميه (الفلسفي) و (العلمي) كل مايستطيع من جهد ؛ حتى استأثر الأخير باهتمامه ، لانه قريب من حياة الأنسان وحاجته الدائمة وهو مايمثل لنا ، الجانب المحسوس من الزمن . فقنن الأيام ، وقسمها اجزاءً . ليتذكر ويخطط ويتحرك وينتج ، ان ذلك المنجز مرتبط بميل الانسان الى (تنظيم) حياته وحرصه على ان لايتخلف عن حركة الاشياء المنظورة . وهو ماترجمه لنا الانسان العربي بحكمته الشهيرة « الزمن كالسيف اذا لم تقطعه يقطعك » وهو مانسميه بالتعامل الحضاري مع الزمن الذي وسم المجتمعات المتقدمة في كل العصور . فماذا قال لنا العراقي القديم عن هذا الامر؟ واين نجد وجهة نظره عن الزمان ؟

أ – الزمن في المأثورات العراقية القديمة .

(ملحمة جلجامش) من بين المصادر الأساسية التراثية ؛ التي تضمنت اشارات صريحة وواضحة عن «الزمان» في ذات السياق الذي اشرنا اليه في حديثنا عن المعنى اللغوي ، والمفهوم الأصطلاحي (الفلسفي) ، فتحدثت عن « اليوم الأول » U m u « اومو »[١٤] بمعنى . اليوم الذي بدات فيه عملية الخلق ؛ كما تضمنت اشارات لكلمات مثل الآن ؛ والدهر والسرمد والأزل[١٥] فورد على لسان صاحب الملحمة الحكيم قوله : « وجاء بأنباء ازمان ماقبل الطوفان »[١٦] . كما ورد فيها اشارات عن حسابات المسافة بالزمن ؛ اي اقتران (الزمان بالمكان) فغابة الارز ؛ كما جزيرة خلوداونونابشتم تبعد عن بلاد اوروك : ؛ مسافة حسبت بعدد الساعات الزمنية [١٧]

و (قصة الخليقة) – اينومااليش – تضمنت ذكر للزمن (المطلق) – غير المحدد – (الازل) سبق الخليقة « ففي البدء الاول (حين) لم تكن السماوات قد سميت بعد في الاعالي ؛ لم تكن سوى (المحيطات الأزلية) – تيامات وآبسو – ثمّ ولدت في بعض ازمان غير محدودة ؛ بضعة اجيال من الالهة (العناصر) وكان احكمها – آيا ، – (ان + كي) »

كما جرى الحديث عن الزمان باعتباره « سر » التغيير والتجديد ؛ الذي يرافق الطبيعة والحياة ، والمتحقق بتأثير التجديد الحاصل في (العناصر الأساسية) لهذه الكائنات ، بسبب تتالي الأجيال وتعاقبها ، « وكما تتعاقب – الدهور – اي (الاحقب) الطويلة ، ومن ثمّ (الازمان) – المراحل الطويلة – لتفرز الى الوجود مجموعة (الهة) جدد يميلون الى الحركة والعمل ، مما يضع ايدينا على فكرة التطور الخلاّق (المتدفق دوماً) لان تعاقب الاجيال والدهور والازمان ؛ لم ينفصل عن الحركة ، وغير منقطع عن حركة الكواكب في السماء ؛ وتلك افكار تمتد الى الألف الثالث قبل الميلاد.[١٩]

لقد وظف الانسان الرافدي ؛ مفاهيمه الفلسفية عن الزمان في الجانبين (الفني – الشعري) و (العملي الفلسفي) فجاء في مأثوراته على لسان مردوك حينما خاطب آرا – آشوم مانصه ، افتح الممر فسوف آخذ الطريق ؛ فقد جاء (اليوم) ومرت (الساعة) سأقول ؛ وتسقط الشمس اشعتها ؛ وسأغطي (بالظلام) وجه (النهار) ... والذي (ولد) في يوم (مطير) يدفن في يوم (عطش)[٢٠] كما توصل انساننا السالف الى (حساب الزمن) بواسطة (تعاقب الليل والنهار) حتى استعمل الساعة الشمسية (المزولة) والساعة المائية (المحصلة) حيث ورد ذكر الاخيرة في قصة الطوفان « اتراحاسس » – واسع الفهم – باسم (ملتكتو Mal-Tak-Tu) التي تحدد بواسطتها بدء الطوفان [٢١] .

وبقدر معلوماتنا المتواضعة عن الوثائق الأثرية القديمة التي جاءتنا عن حضارة وادي الرافدين ؛ لم نجد وثيقة اثرية او نصا ادبيا ، او قصيدة ؛ الا وتضمنت اشارة (تلميحاً او تصريحاً) للزمن ، (الفلسفي) او (العملي) او بعض تفصيلاته واجزائه كالساعة والساعة المضاعفة ، الى اليوم فالاسبوع حتى السنة [٢٢] ومضاعفاتها « فيتحدث الشاعر النيفوري » نابي – أتول – انليل « في قصيدة له عن « النهار » و « الليل » ، واللحظة والبرهة؟ وطرفة العين؟ وعن الامس واليوم؟ وعن الشهر والعام [٢٣] مما يعكس لنا صورة من صور الفهم النفسي للزمان والاحساس المباشر به .

ب – الزمان وعلم الفلك

نتفق مع صاحب « تاريخ العلم » فيما استنتجه عن بداية اكتشاف الأنسان الرافدي للقيمة الحيوية للزمن ؛ وقال عنها ، انها « كانت بداية تجريبية استقرائية غير منفصلة عن تصوراته العقيدية والفلسفية ؛ التي كونها بمرور الايام ؛ من ملاحظته : لتعاقب الليل والنهار ، وبفضل حسابه للايام والسنين وادراكه لمراحل نمو الأنسان (طفولة ، شباب ، شيخوخة) . هذه وغيرها ، اوصلت طرفي معادلة (الحياة والموت) مع بعضهما اي

---

(١٤) الاسعد ، د . سامي سعيد : تعريب ملحمة جلجامش – مجلة التراث الشعبي ٨ لسنة ١٩٧٧ ص ١٠٩–١٣٣

(١٥) قصة الحضارة ٢٢١/٢

(١٦) ملحمة جلجامش ص ٧٣ . راجع ايضاً : جاكوبسن : ماقبل الفلسفة ص ٢٤٦ ٢٤٩

(١٧) ملحمة جلجامش ص ٩٩ راجع ايضا دراسة مدام كاسان عن مفهوم الزمان والمكان سومر م٣١ ص ٣٣٦

(١٨) كريمر ، صموئيل نوح : أساطير سومر وأكد [من كتاب اساطير العالم القديم] ترجمة : احمد عبد الحميد يوسف ، القاهرة ١٩٧٤ ص ٩٨–٩٩. راجع ايضاً : ماقبل الفلسفة – ١٠٩ و ٢٠٠ – ٢١٣ وص ٢١٧

(١٩) مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ٥٤/١

(٢٠) اساطير سومر وأكد ص ١٠٧

(٢١) الطوفان ٨١–٨٣ و ١٥١ : ومدام كاسان ، المصدر السابق ص ٣٣٠ –٣٣٣ مجلة سومر م ٣١

(٢٢) تاريخ العلم ١٧٥/١ و ١٧٧ و ٢١٤ وقصة الحضارة ٢٥١/٢.

(٢٣) قصة الحضارة ٢٥٦/٢–٢٦٠

(البداية والنهاية) بعد ان أخذت الكثير من وقت وتفكير الأنسان . الذي نظر الى دائرة الكون موزعة بين(نصف كرة السماء) يقابلها (نصف كرة الأرض) الاولى اساس الثانية . وكل مايجري على هذه الارض غير منفصلا عن اسبابها الفلكية في المدارات السماوية . فتصور على هذا الاساس الدرجات والبروج والمواقع والمدارات الفلكية للكواكب . فمردوك هو المشتري . ونابو هو عطارد . ونرجال هو المريخ وشمش هي الشمس وسين هو القمر ونبيب هو زحل وعشتار هي الزهرة [٢٤] عائلة آلهية كونية (فلكية) تحكم هذا العالم ؛ انها علل كل مايجري في دائرة الكون من احداث وتغيرات غير منفصلة عن اسبابها) البعيدة .

و لما كانت حدود دائرة الكون ؟ موزعة بين (السماء) والأرض . نظروا الى الاخيرة وكأنها قفة مقلوبة[٢٥] في الماء . بما يوحي بتجاوزهم لخطأ الحواس القائل بان الارض (مستوية مسطحة) اذا لم نتطرف ونعتبر ذلك بداية احساس الأنسان . بكروية الارض . لكنها – على اية حال – جزء من الكون المنظم . الذي يقترن كل مايجري فيه . باسبابه . ولايفلت عن قوانينها (الميات) موجود . في ضوء ذلك فسر التاريخ . واستخدم لذلك – حادثة – الطوفان . اساسا لتأشير . تاريخ مرحلة سابقة عليها . ومرحلة لاحقة لها . ومثل ذلك عامل انساننا العربي ميلاد السيد المسيح . والهجرة النبوية الشريفة . [٢٦]

ازداد احساسه بالتاريخ [٢٧] بعد اختراعه الكتابة . حيث قام بتدوين ملاحظاته واستقراء آته . ومنذ وقت مبكر . يرتقي في تفصيلاته الى العهد الاكدي (في الالف الثالث قبل الميلاد) . لكننا وجدناه في العهد البابلي القديم [من القرن ١٨–١٥ ق . م] ينتقل في ابحاثه . من طور المعرفة العلمية . الى طور علم الفلك الحقيقي . « باعتباره مجموعة . منظمة من التفسيرات العقلية لحركات الاجرام السماوية » [٢٨] بمنهجيته وقوانينه . والزمان بعضاً منه . ولم يتحقق له ذلك لولا شعوره بالحاجة . الى تنظيم الحياة (طريقة العيش) [٢٩] فجرى الحديث عن الزمان التأريخي

بمعنى اخر . ان (علم الفلك) هو القاسم المشترك الذي يربط المفهوم الفلسفي عن الزمان لدى الانسان الرافدي . مع « التقويم » العملي . لذلك الزمان وهو ما كشفه الازدهار العلمي الذي تحقق خلال خمسة قرون استقرت بعدها اصول علم الفلك . والمفاهيم المقترنة بالزمان حيث وضع الانسان خبرته المتراكمة وتجربته العلمية . المستندة الى الملاحظة والاستقراء . التي توجت بقيام علم الفلك الرياضي . الذي لم يتحقق لولا دخول حساب المثلثات و (الجبر) فيه دخولا مباشرا مما ابعده عن التأمل وقربه من اليقين

عليه يمكن القول . ان المجرى العام (لتيار) الزمن كان يعتمد على الدراسات الفلكية . والارصاد العلمية . التي تمخضت عنها . الجداول الفلكية . المسجلة على اساس (الملاحظة المتراكمة + التوظيف الرياضي المتطور) والتي نبهت الانسان (الفلكي) الى اكتشاف الظواهر المتكررة في الطبيعة . مما اوصله الى اكتشاف (القانون) الذي يصدق على كل الظواهر المتكررة . لتكرار شروطها .

وكان من ثمار هذا الكشف الهام ان دونوا لنا حادثة لكسوف الشمس يوم (١٥ حزيران عام ٧٦١ ق.م) مما اكد صحة الاستنتاج العلمي . المستند الى المعلومات الفلكية الواردة عن العراق القديم . والتي استند اليها دارسو الفلك في تسجيلاتهم اللاحقة لحوادث فلكية مهمة . كما فعل طاليس بكسوف يوم (٢٨ ايار سنة ٥٨٥ ق.م) فدخل لذلك قائمة الحكماء[٣٠] مع انه كان واحدا ممن درسوا في بابل . وحمل معه الجداول الفلكية البابلية التي سبقت الارصاد الفلكية الهندية والصينية واصبحت اساسا لعلم الفلك اليوناني[٣١] والعربي الاسلامي اللاحق .

ومع ان الاثار لم تكشف كل اسماء الفلاسفة والعلماء العراقيين القدماء . لكن تبقى اسماء مثل « هرمس البابلي » [٣٢] و « احيقار الاشوري [٣٣] و « نبو ريان » و « كيدينو وجبارو (من العلماء الكلدانيين) والذين نظر سارتون الى دورهم العلمي آنئذ . موازيا الى ادوار كبلر وغاليلو وكوبرنيكس . في عصر النهضة الاوربية .

نقول : مهما كانت الاسماء (المنسية) وراء المنجزات الفلكية الممتازة . مجهولة . لايعني ذلك ان الانسان الرافدي لم يدرك الزمن بصورته الفلسفية بل نقول ان ذلك الادراك لم ينفصل عن الموقف العقيدي . ولا عن التصورات الفلسفية المطروحة . التي وجدناها اقرب الى العلوم الطبيعية . منها الى (الميتا فيزيقيا) فبتأثير تقديسهم للشمس اعتبروها علة تغير ظروف حياة الانسان والحيوان والنبات . وتلك حصيلة الخبرة المتراكمة . كما اهتموا بدراسة (القمر) ومراقبته . فرأوا فيه . اكثر اثراً على مجريات الامور على هذه الارض . كتقلبات المناخ والمدّ والجزر [٣٤] ويظهر عمق الاعتقاد بهذا التأثير في وضعهم « التقويم القمري » لقربه من حركة الطبيعة . ولعله اصل

---

(٢٤) سارتون : تاريخ العلم ١/ ٦١–٦٧ و١٧٥ و١٧٦ – ١٧٨ و١٨٥ و١٨٩ و٢١٤ و٢٥٦ راجع ايضا : ديورانت قصة الحضارة ٢/ ٣٨ و٢٢١ و٢٥٠ و٢٥١ و٢٥٦– ٢٦٠ والاحمد . د . سامي سعيد: السومريون وتراثهم الحضاري ص ١٨٨ والنشار د علي سامي . وجماعة هيراقليطس فيلسوف التغير : الاسكندرية ص ٦٦–٦٧ . وراجع : افلاطون : الجمهورية ص ٤١١ وص ٤٥٤–٤٥٥ و٤٧٦ و ٥٧٦–٥٨٧ .

(٢٥) تاريخ العلم ١/ ١٨٥

(٢٦) مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ١/ ٣٢١

(٢٧) تاريخ العلم ١/ ٣٢١

(٢٨) حيث جاء ذكر الفترة من بدء الخليقة حتى عصر حمورابي . والحديث عن العصر الذهبي الذي نفصله عن اول سلالة في كيش (٢٤١٠٠٠) سنة كما سجل الزمن وحدوده . بحسب سني حكم الملوك . واستمرحتى سنة ٥٣٨ ق. م . حين سقطت بابل . ومثل ذلك وجدناه لدى الاشوريين . راجع الطوفان ١٨–١٩ ومقدمة ١/ ٣٢٠.

(٢٩) مقدمة في تاريخ الحضارات ١ / ٣٥٦

(٣٠) كرم . يوسف تاريخ الفلسفة اليونانية ط ٤ القاهرة ١٩٥٨ ص ١٢

(٣١) ابن خلدون . عبد الرحمن . المقدمة . دار القلم بيروت ١٩٧٨ ص ٤٧٩ و٤٩٧ و٤٩٨

(٣٢) الشهرستاني . الملل والنحل . تحقيق ونشر الوكيل طبع القاهرة ١٩٦٨ – ٢/ ١٠٣

(٣٣) الحكيم : احيقار . الحكيم الآشوري . نشر وتحقيق المطران غريغوريوس بهنام بولس بغداد ١٩٧٦

(٣٤) الكاتب : د. محمد طارق . البصرة وشط العرب والتاريخ البصرة ١٩٧٢ ص ٩ و ١٠

ادراك الزمن وتحديد مفاهيمه الحيوية فتشير « قصة الخليقة البابلية » الى ان مردوك بعد ان صنع السماء والارض من الماء . صنع ابراجاً من النجوم تعين بزوغها وافولها . السنة والشهر واليوم . اما المشتري . فيحدد واجبات الايام واوقات ولاداتها . وفي وسط السماء . ثبت خط السمت وامر القمر بالطلوع لقياس الزمن ليلا لذلك راح يزينه كل شهر بتاج قائلاً لـه اذ تطلع في السماء ليقيس قرناك اياماً ستة . وليظهر نصف تاجك في اليوم السابع وحينما تكون بدرا . فلتواجه الشمس ... ولكن حين تسبقك الشمس في كبد السماء . قلل ضيائك واعكس نموك [٣٥] وبذلك حدد الاسلاف اسباب الحركة والزمان والتغير على هذه الارض ولكن وفق سياقات تفكيرهـــم وادواتهم المحدودة

جـ – الزمان بين علم الفلك والرياضيات

لقد جاء الاعتماد على التقويم القمري . دافعاً للتمييز بين دورات القمر (الشهور القمرية) المؤلفة من (٣٠) يوماً والشهور القمرية المؤلفة من (٢٩) يوما التي توجب معالجة هذا النقص بطريقة ما من اجل ان يكون حاصل مجموع ايام اشهر السنة الاثني عشرة شهراً (٣٦٠) يوماً . وكان من بين هذه المعالجات اعتبار الايام الناقصة . اعياداً مكملة بعددها الكامل (٣٦٠) لتبدأ بعدها دورة حياة جديدة في سنة جديدة تكون بدايتها في نيسان . من كل عام . وليس هذا فقط . بل ولوجود عناية مشتركة للشمس والقمر اكتشفوا الفرق بين « دورة القمر السنوية » و « دورة الشمس السنوية » وعملوا على تحقيق الانسجام بين الـدورتيـــن

بكبس الشهر الثالث عشر القمري . بحسب اقتضاء الحاجة . وبدورات قد تصل الى (٨) سنوات . لذلك لم يستبعد البحاثة طه باقر تأثير هذا التقويم . بالتقاويم اللاحقة . لأنه تقويم مقدس [٣٦] كما لانستبعـد استفادة علم الفلك الحديث . من منجزات الفلك البابلي . والتراث الشعبي العراقي . مازال يزخر ببقايا مفاهيم فلكية تتصل بالبذار ومواسم الزراعة والحصاد والتكاثر . والتنبؤ بالانواء الجوية ومعرفة الايام واتجاه الرياح . لتفسير التقلبات المناخية المقترنة بها . وتلك خاصية يشترك فيها ابن السهل الرسوبي مع ابن الجبل . وابن الصحراء مع ابن الاهوار الذين يعرفون الحسابات القمرية الدقيقة حتى ايامنا هذه . ولعل سبب الحفاظ على هذا التواصل . هو اعتماد لتقويم الهجري على الحساب القمري .

ان الاهتمام بالقمر ومتابعته . ادى الى اختراع (ايام الاسبوع) الذي يعتبر من المكتشفات العراقية . وزيادة في التقنين قسموا اليوم الى (١٢ قسماً) شأنه شأن اقسام القبة الفلكية . ودائرة السماء التي تضمنت البروج الاثني عشر .

وسموا هذه الأقسام بالساعات . كما قسموا الساعة الى (٣٠ أوش)

بمعنى ان اليوم البابلي يساوي (٣٦٠ اوشاً) كأيام السنة الـ٣٦٠. او كدرجات الدائرة الفلكية الكونية المؤلفة من ٣٦٠ درجة . والأوش في حساباتنا المعاصرة يعادل (٤ دقائق) بمعنى انهم ادركوا (نظريا) ماعرفناه نحن فيما بعد . بخطوط الطول – التي تحتاج الارض في حركتها حول نفسها ان تقطع المسافة بين خط واخر بـ٤ دقائق حيث تقطع في اليوم والليلة (٣٦٠) [٣٧] خطاً .

ان الملاحظ في الارقام المذكورة اعلاه انها تمثل اجزاء « الرقـم الستيني اومضاعفاته » الذي اعتمدته الرياضيات البابلية في حساباتها . وهو ماسوف نفصل القول فيه في السطور اللاحقة .

اما العلاقة السببية – ذات الأصل الرياضي – بين (عالم السماء) ببروجه الاثني عشر . وعالم الارض بناسة الموزعين بحسب هذه البروج فهم يواجهون في اليوم (١٢ ساعة) وفي السنة (١٢) شهرا . لن تخرج حدود السعد والنحس في حيانهم عن منطويات هذه البروج [٣٨] وهذه الاعداد)

د – الادوار الزمنية والأصل الرياضي والفلكي .

وجدنا في السطور الفائتة كيف ان مفهوم الزمان اقترن بعلم الفلك . كما اقترن – عمليّا – بالرياضيات . والتنجيم [٣٩] وكان الأخير – حسب رأي سارتون – بمثابة « الديانة العلمية التي اجتذبت المثقفين بعـد طرحهم الأساطير القديمة » [٤٠] واقترابهم من (الرياضيات) وبذلك رسخوا دعائم علم الفلك الذي وصل الى بطليموس وبرخس [٤١] ، وعليه يمكننا القول مـع سارتـون . ان الفلـك والتنجيـم ، بتوسط الرياضيات . هما ضروب المعرفة النظرية ، والمعرفة العملية ، التـي استهدفت التوفيق بين الديانة الشعبية ومذهب التوحيد الطبيعي ، او قل = ضـربـا من وحـدة الـوجـود العلمـي يـؤيـده رجال العلم والفلاسفة [٤٢] . اما كيف طبق الفكر الرافدي الرياضيات في الحسابات الفلكية . فنقول : لقد ظهر من بعض جداول الشمس ، بأن علماء الفلك . الكلدانيين . حاولوا – مثلا – تفسير عدم انتظام سرعـة الشمس . باطراد الفوارق (الثواني) [٤٣] وكذلك من خلال اكتشـاف الوقت (الزمن) الذي يعود فيه كل من الزهرة وعطارد الى مقارنة الشمس ، بواسطته في دورة فلكية سميت (الشر) أو(السنة الكبرى) والتي قدروهـا بمدد تصل في اقصاها الى(٣٦٠٠٠)سنة . بعد ان وجدوا ان حركة الكوكب

(٣٥) جاكوبسن . ماقبل الفلسفة ص ٢١٥
(٣٦) مقدمة في تاريخ الحضارات ١ / ٣٥٦ – ٣٥٧
(٣٧) ابن خلدون . المقدمة ص ٤٤ – ٤٥ و ص ٤٩
(٣٨) باقر . طه . مقدمة ١ / ٣٥٨
(٣٩) تاريخ العلم ١ / ١٧٧
(٤٠) ايضا ١ / ١٥
(٤١) ايضا ١ / ٩٦ – ٩٧
(٤٢) ايضا ١ / ٢٢٥
(٤٣) ايضا ١ / ١٢١ – ١٢٢

في فلكه ، دائرية تنتهي في النقطة التي بدأت منها . وهي ذات الفكرة التي ظهرت فيما بعد عند هيراقليطس ، وافلاطون ، من فلاسفة اليونان ، وان تفاوتت الفترة التي يكتمل فيها ذلك (الدور) وتلك المدة عبروا عنها بكلمة (شر Sāros) ذات الاصل العراقي القديم [٤٤] . وان بدت هذه الكلمة غيرواضحة المعنى ، حتى بعد الدراسة التي قام بها احد الباحثين [٤٥] دون ان يقرر مقدار المدة التي يستغرقها ذلك (الدور) .

وكل مايمكن استنتاجه ، ان كلمة (شر) تقال على « مدد مختلفة » ، بحسب الدورات الفلكية ، للكواكب . لايجمعها جامع الا « الشر » – الدور – الفلكي .

ولما كانت مسارات هذه الكواكب : تتفاوت بتفاوت دائرة (محيطها) وسرعة حركتها ، وجدنا الفرق ، واضحا في تسمية مدة « الشر » . وعليه يمكن القول ان هذا « الدور » قد يبدأ من (السنة الواحدة) ويصل الى (٣٦٠٠٠)سنة ، مما يصبح معه دخول اية فترة اخرى ، في هذه الحدود ، امرا طبيعيا ، وهومايقال عن السنة الكبرى السومرية التي تصل الى (٣٦٠٠) سنة . [٤٦]

ومما لاشك فيه ، ان مضمون « الدور الزمني » المعبرعنه بـ « شر» غير منفصل عن الفهم الفلسفي ، كفكرة الزمان ذات الابعاد الفلكية والرياضية وكان لبرسيوس البابلي (القرن الرابع قبل الميلاد) الفضل في تسجيل هذه الفكرة ، وحفظها لنا ، وان كانت تعود الى ابعد من زمنه بكثير ، حيث سبقه في الحديث عن ادوار الزمان الفلكية ، هرمس البابلي [٤٧] (القرن السادس قبل الميلاد) والذي كان – قطعا – يؤرخ لنا تداولها بين الاوساط العلمية في وادي الرافدين منذ قرون خلت .

ومهما يكن أمر العلماء ، وتقديراتهم الفلكية لدورات الزمان واسمائهم ، تبقى أمام الباحث شاخصة بوضوح مسألة التوظيف الرياضي لهذا الجانب الفكري ، والذي كان – على مايبدو – سبباً في تمييز الفكر البابلي بين ثلاثة « ادوار »[٤٨] سماها الأغريق ، بأسماء متقاربة ، لكنها تدور جميعا في دائرة الحساب الستيني ؛ الذي هو سمة علم الفلك البابلي ، وهي : –

١– شوسيس Sassos (٦٠ سنة) = (١ × ٦٠)

٢– نارس Nerasse (٦٠٠ سنة) = (١٠ × ٦٠).

٣– شيروس (شَروس) Sârose (٣٦٠٠ سنة) = (٦٠ × ٦٠) .

كما يرجح تسلسل هذه الأدوار بحسب المعادلات التالية ، والتي يحتمل معها فرضيات أخرى ، ذات صلة بمضاعفات الرقم (٦٠) البابلي فتتشكل كما يلي : –

(٦٠ سنة) = (١ × ٦٠)

(٦٠٠ سنة) = (١٠ × ٦٠) .

(٣٦٠٠ سنة) = (٦٠ × ٦٠) .

(٦٠٠٠ سنة) = (١٠ × ١٠ × ٦٠) .

(٣٦٠٠٠سنة) = (١٠ × ٦٠ × ٦٠)

وربما اختصت كل مدة « بدورة فلكية » لأحد الكواكب المعروفة، حيث ان « الشَر » أو « السنة الكبرى) لايتحقق الا في سلسلة متوالية ؛ ومتوافقة مع الأوضاع بين الشمس والقمر والكواكب الأخرى ؛ تنتظم خلالها مواقع المنظومة الفلكية (الدورية) ؛ لذلك ، فالخسوف والكسوف، عادة مايحدث أثناء سلسلة من السياقات الفلكية التي قد تبدأ من ثمان سنوات [٤٩] تتوازن فيها الحسابات الشمسية والقمرية كما تضمنتها الجداول الفلكية ، وتصل هذه المدة الى (٦٠ سنة) . مع ذلك تبقى شكوك سارتون بصدد المفكر الذي عبرعن هذه المدة (الشر) بـ (١٨ سنة) من اليونانيين صحيحة : حيث عزاها الى وقت متأخر [٥٠] وهو ماتنبه اليه ادماند هالي [٥١] ايضا ، بفضل اعتماد كلا الباحثين على ملاحظة « جيبارو » البابلي ؛ لذلك قال سارتون : ان مدة الشر – بهذا المعنى اليوناني المتأخر – غير كافية للتنبؤ بخسوف القمر (خلال ١٨ سنة) اذ ان اكمل دورة فلكية له تتم في (٥٤ سنة و ٣٤ يوما . [٥٢]

عليه نعود مرة اخرى الى طرح احتمالات البحث بصدد مفهوم مدة الدور (الشر) فنقول ان اقصر دور زمني يتحقق في النظام الكوني . على تماس مباشر بنا هو « اليوم » الذي وجد له الانسان الرافدي مناسباته وطقوسه ؛ المستنبطة من الحياة العملية ؛ استهدف من ورائها ؛ تفسير وتعليل التغيرات الشاملة في الطبيعة والحياة ، من خلال حركة غير متوقفة حركة دائرية تمارسها الكواكب ؛ (الاسباب البعيدة) لكي تكتمل دورتها (السنة الكبرى) [٥٣] ثم تعود من جديد دورة الحياة ؛ وحركة الفلك الدائرية ؛ وهو مالاحظه الانسان العراقي القديم في (شروق الشمس وغروبها) وفي مثل اوسع ؛ « موت وعودة تموز» و« جفاف المياه وطغيانها » وانخفاض الحرارة ، والحريق العام » وهوماسماه – فيما بعد – هيراقليطس ايضا ، بـ « السنة الكبرى » [٥٤]

---

(٤٤) ايضاً ١ / ٢٥٨

(٤٥) Caralas, Mullerus, Fragmenta his Toriconm gracorum. Paris. 1851 Vol 4 p. 280.

(٤٦) الأحمد ، د. سامي . السومريون وتراثهم الحضاري ص ١٧٤ . راجع ايضا الطوفان ص ١٨ ومابعدها .

(٤٧) كوربان ، هنري : تاريخ الفلسفة الاسلامية بيروت ١٩٦٧ ص ٢٠٠ راجعها في ابن النديم ؟ الفهرست ص ٥١٠ وتناول مساهماته الفلكية . الشهرستاني : في الملل والنحل : تحقيق الوكيل ٢ / ١٠٣

(٤٨) تاريخ العلم ١ / ٢٨٢

(٤٩) ايضا ١ / ٢٥٩

(٥٠) ايضا ١ / ٢٨٢.

(٥١) Edmand, Halley. Oneuge baner, anter Suchungen. Zuron Tiken As Tron omie mDiebabylon cheis Theoric Berlin, 1938 p: 295 & 407–419.

(٥٢) تاريخ العلم ١ / ٢٨٣

(٥٣) السومريون وتراثهم الحضاري ٧٨ – ٨١

(٥٤) تاريخ الفلسفة اليونانية ط ٤ ص ١٨

متابعا خطى البابليين في ذلك الوقت . وان طرح تفسيرا ساذجا لدورة اليوم خلاصته « ان الشمس تنطفي (مساء) بالماء ، ثم تعود الى الظهور في الصباح » (٥٥) التالي .

وكما قال افلاطون : بالدور الزمني (السنة الكبرى) التي حدد فترتها بـ (١٠٠٠ سنة) (٥٦) واحيانا اخرى تصل الى (١٨٠٠٠) سنة . وبين الفترة الاولى والفترة الاخيرة احتمالات كثيرة عن الدور الزمني » حتى في الحسابات اليونانية .

عليه نقول : ان حسابات الزمن لدى البابليين ، غير منفصلة عن العدد المقدس (الستين) الذي وحد منطلقات واسس علم الفلك هنا . على خلاف ماوجدناه لدى فلاسفة الاغريق . فالسنة الكبرى البابلية لم تتعد في مسارها الكوني (٣٦٠٠٠) سنة من السنوات الاعتيادية المرتبطة بالدورة الزمنية . للكواكب (السبعة) المعروفة ، انذاك ؛ وهورقم كما يقول –ويلرايت – موضوع على اساس اخر ، غير التقدير الفلكي الدقيق ؛ ولعل (الازل والابد) للدورة البابلية تتجلى بظاهرتين متناقضتين ؛ تؤشران اكتمال الدور ونهايته ؛ ونعني بهما (الفيضان العام) أو (الحريق العام) لتبدأ بعدها دورة حياة جديدة » فحين يحدث اتصال الكواكب في برج السرطان تنخفض كل الاشياء الى ماء ، وحين يحدث في برج الجدي فانكل الاشياء تتحد مع النار او تفنى فيها (٥٧) .

في حين وجدنا « السنة الكبرى » لدى اليونانيين موزعة بين (١٨ سنةو ١٠٠٠ سنة و ١٠٨٠٠ سنة و ١٨٠٠٠ سنة)تفتقر هي الاخرى الى المقياس الذي تؤشر فيه خاتمة المطاف للدور الفلكي ؛ باستثناء المدة المقدرة بـ ١٠٨٠٠ سنة ، فانها مرتبطة بظاهرة السعد والتفاؤل لانها حصيلة علاقة بعالم الفلك معبراً عنها بالمعادلة (حاصل ضرب ٣٠ × ٣٦٠ = ١٠٨٠٠) (٥٨) التي تعني (حاصل ضرب متوسط عمر جيل الانسان والجيل الثاني وهو ٣٠ × فكرة الكمال المصاغة من عدد ايام السنة ، او درجات الدائرة الكونية البالغة (٣٦٠) وهو عدد درجات اليوم في الحساب البابلي ، ونلاحظ هنا ان الفلك اليوناني وفكرة (السنة الكبرى) لم يفلتا من تاثيرات الفلك البابلي القائم على الحساب الستيني ؛ علما ان اليونان مالوا الى الحساب العشري . ولاندري لماذا لم يوظفوه في نظرياتهم عن (السنة الكبرى) وليس هذا فقط ، بل حتى في تحديد الدور الفلكي لهذه السنة بـ (١٠٨٠٠) سنة ، وهي التي تشير الى الدور السعيد ، لانستبعد التأثير البابلي فيها ، حيث مارس الانسان الرافدي طقوسه معبرا عن نظرة متفائلة ، يكررها في كل مطلع سنة جديدة في (نيسان)

(احتفالات عودة تموز) كناية عن مظاهر التغيير والتجدد الايجابي وثماره قوى الخلق والاعتدال في الربيع ؛ وهو طقس متفائل بين الطقوس الدينية ذات المغزى الحيوي الايجابي (٥٩) . انها عملية التجديد السنوي ، التي نظر اليها كما ينظر الى النبع المتدفق دوما اومثل نهر سريع الجريان لايعيقه معوق . كناية عن ديمومة الحركة في الطبيعة ؛ اوماعرف بفكرة « الزمن لسيال » المرتبط بازل بعيد وابد يصعب تحديد نهاياته ؛ لانه لايجري على خط مستقيم ، بل بحركة دائرية . كلما انتهت فيها دورة ، بدأت الاخرى ؛ وتلك هي سنة الحياة ؛ معبرا عنها بحركات الاجرام السماوية ودوراتها الفلكية انها العلل البعيدة للتغيرات الحاصلة على الارض ، ممثلة بالفصول المتعاقبة ؛ وبمظاهر التغير المتنوعة .

اما الاشارة الى (الزمن السابق) او (الماضي البعيد) السابق لعصر الناس ، فهو الاخر لايفترق عن النظرة المتشبثة بتراث الاجداد ؛ انه (العصر الذهبي) حيث السعادة الشاملة ترفرف على كل تخوم الارض بفضل الاعتدال الحاصل في عالم الفلك . ففي عصر السعادة الشاملة ، كل الاشياء والافلاك ، تتطابق مع بعضها ، تطابق درجات الدائرة (٣٦٠ درجة) اما محاولات الانسان اللاحقة على ذلك العصر فهي محاولات متشبثة ؛ استهدفت معالجة فكرة (النكوص) – السقوط – من الاحسن الى الاسوأ . لكنه سقوط متفائل (غير بائس) اجتمعت على القول فيه الاديان والفلسفات والعلوم الاولى بقصة هبوط آدم وحواء ، والثانية بهبوط النفس (الروح) والثالثة بفكرة مجيء الانسان من الكواكب الاخرى وهي ذاتها التي عبرعنها الانسان الرافدي (بالزمن الاول) (اومو) وعبرعنها اليوناني بفكرة « كرونوس » التي لانستبعد وقوع التأثير المتبادل فيها (٦٠)

٤– المحاكمة بين الافكار .

اذا كانت « الدورات الزمنية » معبراً عنها بـ « الشر » هي اقصى ماتحدث عنه الأنسان الرافدي ، وهويحاول الاجابة عن « سر » التغيرات » الحاصلة في الكون على قاعدة « الترابط السببي » فلم تأت هذه الفكرة (الادوار) الا تعبيراً عن كون الزمان لم يكن خارج المجرى العام للحياة . انه مراحل متعاقبة متواترة ، تؤشرها الأحداث ، التي تعود بدورها ، بعد حين ، لتصبح جزءاً منه ، (الزمان) كما تتوسطها حياة الأنسان بكل صخبها ، بسبب وقوعها بين مراحل (الماضي البعيد) السعيد ، والمستقبل المجهول ؛ والسنة الكبرى ، عنده نقطة النهاية والبداية ، في آن واحد ؛ حيث يعود فيها الماضي مستقبلاً ، لذلك وجدنا حركة التاريخ في ضوء هذا الفهم ، حركة تراجع « تقدمي » ينتهي فيها الانسان الى حيث نقطة الأبتداء ، عليه يمكن ان نعتبر فكرة (الدور الزمني) عزاء للنفوس التي فاتتها لذة التمتع في سعادة الماضي (الذهبي) .

نقول هذا ونحن نتفحص جيدا ماذهب اليه جان قال في قوله : « ليس للزمان عند الأقدمين ؛ اية أهمية، اذ بدت الأحكام الاخلاقية والجمالية والرياضية في نظرهم فوق كل زمان . والزمان عندهم ، له اهمية سالبة ، وهو

(٥٥) هيراقليطس فيلسوف التغير ص ٦٣ . افلاطون : الجمهورية ، ص ٤١١
(٥٦) افلاطون : الجمهورية . دراسة وتحقيق د. فؤاد زكريا ص ٤٧١ و ٥٨٣
(٥٧) ويلرايت : فيليب . هيراقليطس فيلسوف التغير : ترجمة عبدالواحجي ، ط ١ اسكندرية ١٩٦٩ ص ٦٦ – ٦٧ والمعتمد على .
C.F. Nircea Eliade, the mgrh ot the Eternal, Retarnl Bollinge inseries & LV, Oantheon. Books, 1954.
(٥٨) المصدر السابق ص ٦٧
(٥٩) جاكوبسن ، ماقبل الفلسفة ص ٢٣٦ – ص ٢٣٧ (القسم الخاص بوادي الرافدين)
(٦٠) عالم الفكر : الزمان في الفكر الديني .. ص ٤٤١ ، كذلك : هيراقليطس ص ٦٦ – ٦٧

في حد ذاته ، تدهور وانحطاط ـ الحقيقة في الماضي ، والماضي الازلي ، دون نظر الى الزمان » .[٦١]

وهذا مالايستقيم وحقيقة ما وجدناه . من توهج حيوي مثلته فكـــرة « التجدد » المستمر في حياة الأنسان وفي الاشياء . التي اسقطت الحكم على النظرة القديمة في كونها نظرة (متحجرة) وليس ادل على ذلك من الابتهاج بهزيمة القوى القديمة « قوى العماء والتخلف » التي كادت تحول دون تطور المجتمع ؛ ولكن انتصار عناصر « الحركة والعمل » والتجديد انهى ذلـــك التخلف . ثم ان الزمن لايقصد به الماضي فقط . لكي نهمل ابعاده الأخرى . ثم اين نضع نظريتهم في « الادوار الزمنية » وماذا تعني الولادات المتجددة . اما الأفكار التي طرحها هذا الفيلسوف حول « القيم الأخلاقية والجماليـة » المعيارية ، فلا تصدق على الفكر الرافدي . وبخاصة بعد ان لمح الى شخصيات غير عراقية مثل « اسكيلوس وليوقريطيس » . عليه نقول ان الفكر الرافدي تضمن المفاهيم التالية عن الزمن :

أ- الزمن المطلق (الماضي والمستقبل) الذي يقع خارج العالم المادي . والمرتبط بالكون وحركته السرمدية . وعلى امتداد الدورات الفلكيـة (انه الازل والأبد) .

ب- الزمن النسبي . الذي بدأ مع الموجودات . مع الخلق الاول ويمكن تقسيمه الى :

اولاً : الزمن الفلكي . الذي يعين بدء الدورة ونهايتها . (السنـــة الكبرى) (الشر) (الدهر) .

ثانيا : الزمن الحيوي : المؤشر بتعاقب الليل والنهار ، والمراحل التقويمية . انه الزمن المحسوب (المقنن) الذي يعتبر جزء من الزمن الفلكي . ويعبر عنه بـ « المدة . والزمن . والوقت . والسنة والشهر . واليوم والساعة والبرهة . والآن » انها المفاهيم المتصلة بظواهر التغيير على هذه الارض بمعنى انه متصل بعملية (التغيير) . وغير منفصل عن حركة الأشياء ، اذا لم يكن هو شرط وجودها . بالمفهوم الفيزيائي والمفهوم المنطقي . عليه نتفق مع ماذهب اليه الاستاذ الآلوسي حينما قال « ان الزمان يساوي الوجود ، زمان الشيء هو وجوده . سواء اكان الموجود ساكناً اومتحركاً » وهذا الفهم -- في رأينا -- يتضمن نصف الحقيقة . لأن انتفاء مفهوم الزمان بالنسبة للانسان الذي سوف يموت ، لايعني انتفاء مفهومه للبشرية فالزمان موجود مادامت اجناس الأشياء وانواعها موجودة . وان فنت افرادها . لذلك نقول ، لكي تكتمل الحقيقة لابد من الأنتباه الى الجانب المنطقي في الزمان . وان لم يصرح به المفكر الرافدي بوضوح فـــي سطور الوثائق التي وصلتنا . مما لايترك مجالاً للشك ، في توحد رؤية المتفلسف مع رؤية الأنسان العادي حينما ادركا وجود الزمان وجودا موضوعيا (خارجياً) مقترناً (بالوجود) يؤكد الفهم الفلسفي . ومن غير المقبول ان نلغي الفهـــم الفلسفي للزمان قبل افلاطون . ونحن نقرر من جانب الصفة الفلسفية فـــي الافكار الواردة عن الزمان قبل افلاطون .[٦٢] ومجرد دخول الزمان في وجود الأشياء موضوعياً يؤيد دلالته الفلسفية . بخاصة وان الشهادة على فلسفيـــة الزمان عند افلاطون . بحاجة الى مايعضدها . وبالذات وهو يتحدث عنـــه بذات الاطار الذي وجدناه في الفكر القديم وان جاء بلغة اخرى . حيث ابدل « عالم الافلاك ، الدائري الابدي . (بعالم المثل) [٦٣] وهو موطـــن الزمان السرمدي يقابله الزمن النسبي في العالم الأرضي .

وزيادة في تطمين القارىء الفاضل . بأصالة الفهم الرافدي للزمن . نقول : تجاوزت بعض تفصيلات حياته المفاهيم الآنفة الى الحديث عـــن (الزمن النفسي) المقترن بالسعادة الحاضرة (الآنية) لاكما ظن جان قال . فهذه سدوري (صاحبة الحانة في ملحمة جلجامش) تطرح فكرة الزمن (الحاضر) . الآن – وتذكر جلجامش به . باعتباره محور نشاط الأنسان ! فاقترحت عليه ان يستغل كل دقيقة من دقائق حياته . على قاعدة « عش ليومك » وهو ماعبر عنه الخيام بعد قرون عديدة بقوله « فاغنم من الحاضـــر لذاته . فليس من طبع الليالي الامان » وتحذره من (لاجدوى) البحث عن (الخلود) الذي يعني مع مابعنيه (توقف الزمن) او العيش خارج حدوده ! وهو مستحيل على الانسان (الفاني) (الخلود من سمات الالهة) وبذلـــك وضعت سدوري ايدينا على مناطق نفوذ الزمان واقسامه (فالزمن السرمدي في عالم السماء) اما الزمن النسبي فهو في عالمنا الأرضي . وان لم يتفق ذلك مع طموح جلجامش المتحفز نحو (المستقبل) المتفاءل .[٦٤]

اما فكرة (التاريخ) التي هي حساب الزمن النسبي (الحيوي) بالحوادث المهمة . فلقد عرفها العراقي القديم . فجرى الحديث عن ماقبل (الطوفان) وما بعده وبذلك وظف الحادثة لمعرفة مراحل الزمن . ثم عاد ونظر الى هذه الحوادث باعتبارها اجزاء من الزمن . وهي مانسميه (بالتاريخ) . وهـــو يضعف ماذهب اليه فرانكفورت . من ان الانسان الرافدي لم يعرف فكرة الزمن . التي تشكل اطار التاريخ لنا .[٦٥] اي اراد ان يقول لنا انه لم يستخلص له فكرة مجردة عن الزمن . وهو مالاينسجم مع ماوصلتنا من معلومـــات أثرية عن كثير من معالجاته (العملية والفكرية) دون ان ينسى عائديته الى هذا الكون المنظم . مع معرفته للصلة السببية التي تربط اجزاء هذا الكون . والأنسان جزءاً منها . والمجتمع الأنساني كالمجتمع الكوني . دون ان يفصل بين مايجري على هذه الارض وبين الاسباب الفلكية .

ثم . ماذا سنقول عن اعترافات قدماء اليونان بفضل الجهود البابلية في دائرة الزمـان . فهذا هيرودوت يعترف بنضـوج افكار البابليين . واهميـة جهودهم فـي تقنين الزمـن . فيقول « تعلـم الأغريق الا نومون Nomom والا بولوس Polose . وتقسيم اليوم الى اثني عشر قسماً من البابليين » كمـا تعلم الكثير من مفكري الاغريق قبل هيرودوت وبعده . من نظريات الشرق العربي (البابلي) ، كان منهم طاليس وفيثاغورس وهيراقليطس وانبادوقلس

---

(٦١) فال . جان : طريق الفيلسوف . ترجمة د. احمد حمدي محمود مراجعة د. ابو العلاء عفيفي القاهرة ١٩٦٧ ص ٢٤ – ٢٥

(٦٢) الزمان في الفكر الديني القديم ص ٥٠ وفي عالم الفكر ص ٤٤٣ – ٤٤٤

(٦٣) افلاطون . الجمهورية ص ٤٥٤ -- ٤٥٥ و ٤٧٦ و ٥٧٦ وص ٥٨٣

(٦٤) ملحمة جلجامش اللوح الحادي عشر ص ١٣٤ – ١٣٨ وص ١٥٠ و ١٦٦ –١٦٧ وعالم الفكر ص ٤٩٠

(٦٥) ماقبل الفلسفة ص ٣٦ و ٣٩

ورغيرهم كثيرون [٦٦] كل ذلك يسقط التفسيرات غير الموضوعية التي طرحها فرانكفورت عن مفهوم الزمان عند العراقيين القدماء ، حينما انكر وجود فكرة للزمان واضحة ومستقلة عند البابليين . وذلك بسبب اقتران تلك الافكار لديهم بالعوامل العاطفية والمشيئية ، وكأنهم شعوب وقبائل بدائية

فجاءت فكرتهم عن الزمان – كماظن – كيفية ومجسمة . لقولهم بوجود علاقات سببية ، فيما اعتبره هو ، اقترانات فكرية . مردها تفسيرات بدائية اعتمدها الفكر الرافدي . في سياق محاولاته الفلسفية ، . وليس امامنا الا ايراد الالتفاتة الذكية التي اجتزئها لنا الدكتور الالوسي عن الفيلسوف المعاصر ارنست كاسبرر [٦٧] وهو يتحدث عن الزمن البايولوجي لدى المفكر الميثوبي حيث ان الزمن عنده ، مرتبط بمنظار بشري . لأن تعاقب الفصول وحركات الاجرام السماوية ، كلها تسيروفق خطة مماثلة ، لخطة حياة الانسان ، ومرتبطة بها . ولن تخرج عن الفهم العقيدي ، او التفسير الفلسفي للكون ، وموقع الأنسان فيه . حيث نظر الانسان الى الكون (العالم) على اساس (الغائية) و (النظام) فلا عبثية فيه ولافوضى . وانما كل مايجري فيه ، وفق قوانين وانظمة ومراتب ، لذلك جاء تفسير الأنسان الرافدي للزمان ، معتمداً على اساس ان مراحله (دورانه) وتعاقب فصوله ليست عملية تعاقب تلقائي ، عشوائي ، لامعنى لها ، بل هي حالة « صراع » بينهما (جدل) . صراع بين الاضداد لانهاية له . تتخلله حالات توافق وانسجام ، عبر عنه في سياق بحثه عن ايام السعد ، وعن الوقت المطلوب ، بين ثنايا الجداول الفلكية ليصار الى تتويج الملك مع البداية الجديدة لدورة الطبيعة . ومهما كانت وسائل ذلك التحديد . تبقى في اطارها السببي المستند الى خبرة عمرها ثلاثة الآف سنة لعلم الفلك البابلي . مما يسقط الحكم القائل ببدائية الفكر الرافدي ويدل على ان الزمن لدى الانسان الرافدي « لم يكن اطارا مجرداً محايداً لما يجري في الحياة ، وان كانت هناك فجوات هي بمثابة « مناطق معينة من الزمان ، تحتجب عن التجربة المباشرة ، فتثير الفكر التأملي ، لكن هذه التأملات جاءت بمثابة الاختبارات السايكولوجية التي لايجمعها مع التصورات البدائية جامع وهو مالخصه لنا افلاطون في محاورة طيماوس قائلاً لو كنا لم نر النجوم والشمس والسماء ، لما نطقنا بكلمة واحدة مما قلنا عن الكون ، اما الان ، فأن مرأى الليل والنهار ، وتعاقب الاشهر ، ودورات السنين ، قد خلقت الاعداد ، ومنحتنا فكرة الزمن ، وقدرة البحث في طبيعة الكون ، ومن هذا المصدر استنبعنا الفلسفة ، وهي الخير الذي لم يهب الالهة الأنسان الفاني ولن يهبوه خيرا اعظم منه [٦٨] وبذلك تحدث هذا الفيلسوف عن نفسه وعن الذين سبقوه اكثر مما تحدث عنهم الآخرون [٦٩]

الخاتمة :

مثلما اجتهد الأنسان الرافدي في تسهيل طرائق عيشه كذلك امعن النظر وحكم العقل في كل مايجري حوله ، ولما كانت المسألة الفلسفية الاولى في الوجود ، هي مسألة « الحياة والموت » كانت قصة التصاق الأنسان بالزمان : من خلال متابعته للتغيير ، وبآثاره البادية حسيا ثم بحث عن الاسباب الكامنة وراء تلك التغيرات . وهو يواجه يومياً ظاهرة « تعاقب الايام والليالي » و « تتالي الايام والشهور والفصول » ويحرص على ان يخضع « المدة » التي اقتضتها الاحداث المتتالية ، الى الحساب ، ويربطها بالافلاك ، ويعبر عنها بالادوات والأجهزة ، مما يشير الى ادراك مفهوم « الزمن » دون فصله عن التغيرات او الاشياء .

ويمكن ان نتجاسر ونقول : ان ذلك الادراك كان في ابعاده (المطلقة) و (الازلية) و (النسبية) مع عدم تفريطه بالصلة التي تربط بين هذه الابعاد ، مما يغري بوجود لمحات فلسفية كانت تؤطر التصورات المطروحة عن الزمان (الحيوي) الموضوعي ، ذات المواصفات الفلسفية (طبيعية) و (ما ورائية) و (منطقية) و (عقيدية) و (عملية) تخرج بتقويمنا لمستوى الأدراك الذي كان عليه الأنسان الرافدي ، من دائرة (البدائية) التي وصفه بها البعض (تجاوزاً) الى ميدان البحث الفلسفي ، الجدير في ان يجد مكانه اللائق في سياق دراستنا لتأريخ الفكر الفلسفي الانساني ، ولمسيرة التراث العلمي العربي ، في عصوره القديمة .

---

(٦٦) مقدمة في تاريخ الحضارات ١ / ٣٦٠ – ٣٦١ . راجع ايضا : الفلسفة اليونانية ص ١٢

(٦٧) عالم الفكر ص ٣٧ ٤ . المستند الى فرانكفورت . ماقبل الفلسفة ص ٣٣ – ٣٦ راجعه في كتاب الزمان ص ٤٠

(٦٨) ماقبل الفلسفة ص ٢٩٠

(٦٩) كاسان . مدام ابلينا . مفهوم الزمان والمكان في وادي الرافدين القديم . ترجمة د. وليد الجادر منشور في مجلة سومر العددين الاول والثاني – المجلد ٣١ لسنة ١٩٧٥ ص ٣٢٧ – ٣٣٥ .